

## سورة الضحى مكية

وآياتها إحدى عشرة

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ  
 مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَءَاوَىٰ ﴿٦﴾  
 وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾

أَقْسَمَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالضُّحَىٰ ، وهو النهار كله ، وأحسب أنه من قولهم : ضحى فلان للشمس : إذا  
 ظهر منه ؛ ومنه قوله : « وَأَنْكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى » : أي لا يصبىك فيها الشمس . وقد ذكرت  
 اختلاف أهل العلم في معناه ، في قوله : « وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا » مع ذكري اختيارنا فيه .  
 وقوله : « وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى » اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : والليل إذا أقبل  
 بظلامه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إذا ذهب .

وقال آخرون : معناه : إذا استوى وسكن .

وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي في ذلك قول من قال معناه : والليل إذا سكن بأهله ، وثبت  
 بظلامه ، كما يقال : بحر ساج : إذا كان ساكناً ؛ ومنه قول أعشى بني ثعلبة :

فَمَا دُئِبْنَا إِنْ جَاشَ بَحْرُ ابْنِ عَمِّكُمْ \* وَبَحْرُكَ سَاجٍ مَا يُوَارِي الدَّعَامِصَا<sup>١</sup>

<sup>١</sup> الدعاميص : جمع دُعْمُوص ، وهو دوفة سوداء تكون في الغدران إذا قلَّ ماؤها . والبيت من قصيدة يهجو بها الشاعر علقمة بن علاثة ،  
 يقول له : فيم وعيدك إياي ؟ أتوعدني لأن كان شرف ابن عمك عامر كالبحر ، وكان شرفك في قومك ضعيفاً كالبحر الساكن القليل الماء ،  
 لا يوارى ما فيه من الديدان ؟ (حاشية جامع البيان ٣٠/٢٣٠) .

وقوله : « ما ودَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى » وهذا جوابُ القسم ، ومعناه : ما تَرَكَكَ يا مُحَمَّدُ رَبُّكَ وما أَبْغَضَكَ . وقيل : « وَمَا قَلَى » ومعناه : وَمَا قَالَكَ ، اِكْتِفَاءً بِفَهْمِ السَّامِعِ لِمَعْنَاهُ ، إِذْ كَانَ قَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ قَوْلُهُ : « ما ودَّعَكَ » فَعَرِفَ بِذَلِكَ أَنَّ الْمُخَاطَبَ بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

وذكر أن هذه السورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تكذيباً من الله قريشاً في قيلهم لرسول الله ، لما أبطأ عليه الوحي : قد ودَّعَ محمداً ربُّه وقلاه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الأسود بن قيس ، أنه سمع جندباً البجلي قال : قالت امرأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أرى صاحبك إلا قد أبطأ عنك ، فنزلت هذه الآية : « ما ودَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأسود بن قيس ، قال : سمعت جندب بن عبد الله يقول : إن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : ما أرى شيطانك إلا قد تَرَكَكَ ، فنزلت : « وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ما ودَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى » ٢ .

وقوله : « وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى » يقول تعالى ذكره : وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ ، وما أعدَّ اللهُ لك فيها ، خيرٌ لك من الدار الدنيا وما فيها ؛ يقول : فلا تحزن على ما فاتك منها ، فإن النبي لك عند الله خيرٌ لك منها . وقوله : « وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى » يقول تعالى ذكره : وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ يا مُحَمَّدُ رَبُّكَ في الآخرة من فواضل نعمه ، حتى تَرْضَى .

وقد اختلف أهل العلم في الذي وعده من العطاء .

عن موسى بن سهل الرملي قال : ثنا عمرو بن هاشم ، قال : سمعت الأوزاعي يحدث عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي ، عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه ، قال : عرض على رسول الله

<sup>2</sup> أخرج البخاري في صحيحه (٤٩٥٠) عن جندب بن سفيان رضي الله عنه قال : اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً ، فبجأت امرأة فقالت : يا محمد إنني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ، لم أره قريبك منذ ليلتين أو ثلاثاً ، فأنزل الله عز وجل : « وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ما ودَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى » . وقال العسقلاني في الفتح (٥٨١/٨) أن هذه المرأة التي أتت النبي صلى الله عليه وسلم كانت أم جميل امرأة عمه أبي لهب .

صلى الله عليه وسلم ما هو مفتوحٌ على أُمَّتِهِ من بعده ، كَفْرًا كَفْرًا ، فَسَّرَ بِذَلِكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ « وَكَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى » فَأَعْطَاهُ فِي الْجَنَّةِ أَلْفَ قَصْرِ ، فِي كُلِّ قَصْرِ ، مَا يَنْبَغِي مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالْخَدَمِ <sup>٣</sup> .

وقال آخرون في ذلك ما حدثني به عَبَادُ بْنُ يَعْقُوبَ ، قَالَ : ثنا الْحَكَمُ بْنُ ظَهْرٍ ، عَنْ السَّلِيِّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فِي قَوْلِهِ : « وَكَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى » قَالَ : مِنْ رِضَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَّا يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ النَّارَ .

وقوله : « أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى » يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مُعَدِّدًا عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِعْمَةً عِنْدَهُ ، وَمَذْكُرَةً آيَاتِهِ قَبْلَهُ : أَلَمْ يَجِدْكَ يَا مُحَمَّدُ رَبُّكَ يَتِيمًا فَآوَى ، يَقُولُ : فَجَعَلَ لَكَ مَأْوًى تَأْوِي إِلَيْهِ ، وَمَنْزِلًا تَنْزِلُهُ « وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى » وَوَجَدَكَ عَلَى غَيْرِ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ .

وقوله : « وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى » يَقُولُ : وَوَجَدَكَ فَقِيرًا فَأَغْنَاكَ ، يَقَالُ مِنْهُ : عَالَ فَلَانٌ يَعِيلُ عَيْلَةً ، وَذَلِكَ إِذَا افْتَقَرَ . وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

**القولُ في تأويلِ قوله تعالى :**

**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرَ ﴿١﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿٢﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿٣﴾**

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : « فَأَمَّا الْيَتِيمَ » يَا مُحَمَّدُ « فَلَا تَقْهَرَ » يَقُولُ : فَلَا تَظْلِمُهُ ، فَتَذْهَبَ بِحَقِّهِ ، اسْتِضْعَافًا مِنْكَ لَهُ .

وقوله : « وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ » يَقُولُ : وَأَمَّا مَنْ سَأَلَكَ مِنْ ذِي حَاجَةٍ فَلَا تَنْهَرُهُ ، وَلَكِنْ أَطْعِمْهُ وَأَقْضِ لَهُ حَاجَتَهُ . « وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ » : يَقُولُ : فَادْكُرْهُ . وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

وعن أبى نضرة ، قال : كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَرُونَ أَنَّ مِنْ شُكْرِ النِّعَمِ أَنْ يُحَدِّثَ بِهَا .

آخرُ تفسيرِ سورةِ الضُّحَى ، وللهِ الحمدُ والشُّكْرُ

<sup>3</sup> أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٦٥٠) وفي الأوسط (٣٣٠٩) وفي كلا الروايتين عمرو بن هشام البيروتي . وذكر الوادي أن الحديث مروى « من طريقين في أحدهما عمرو بن هشام البيروتي ، الراوي عن الأوزاعي ، وهو ضعيف ، وفي الأخرى رواد بن الجراح مختلف فيه فأظن من وثقه لصدقه وديانته ومن جرحه فالأنه اختلط » (انظر أسباب النزول ، ٢٧) .

<sup>4</sup> الحكم بن ظهير الفزاري ، ضعفه كثيرون ، انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي (ترجمة ٥٥٠) .